شفيق الحوت

نحو استراتيجية عربية جديدة

الاستراتيجية، بكلمتين اثنتين، هي: فكر وتنظيم. ولا يستقيم لهذا المصطلح معناه، قبل التسليم بما بين جناحيه المذين، من علاقة عضوية وتفاعل جدلي. بل ان مصداقية وفعالية أية استراتيجية، تقاسان بمدى صميمية هذه العلاقة وحيوية هذا التفاعل وقدرته على الحركة التصاعدية المستمرة.

بعبارة اخرى، يمكننا القول، ان الاستراتيجية هي محاولة الرد على سؤالين: ماذا نريد؟ وكيف يمكننا إنجاز هذا الذي نريد؟

وبين «ماذا» و«كيف» لا بد من التصدي لعدد غير قليل من علامات الاستفهام والرد عليها، من خلال التحليل الشامل والتقييم الموضوعي «للحاضر» الذي نحياه، وتصورنا «للمستقبل» الذي نصبو اليه. و«المستقبل»، في هذه المرحلة من حياة البشرية، لم يعد رجماً في الغيب، ولا احجية متروكة للمنجمين، وانما أصبح علماً قائماً بذاته، لا يقل رزانة وأهمية عن علم التاريخ، وله كرسيه المحترم في الجامعات العالمية الرائدة. وبفضل العقول الالكترونية أصبح من اليسير جدا لاي طالب علم أن يستحصل على آلاف الاجوبة لآلاف الاسئلة، حول أوضاع العالم المختلفة سنة ٢٠٠٠ مثلاً، وفي مختلف ميادين الحياة، من اقتصادية الى اجتماعية الى نفسية الى آخره.

من هنا فان استيعاب الماضي وتجاربه عن طريق علم التاريخ، لفهم ما وصلنا اليه في حاضرنا، لا يقل أهمية عن ضرورة استيعاب المستقبل واحتمالاته عن طريق «علم المستقبل»، لفهم متطلبات الاقلاع من هذا الحاضر الى القادم من أجيال.

ولا أريد المزيد من الاسهاب هنا، فكل ما رميت اليه، هو التركيز على البعد العلمي وأهميته البالغة الحساسية والخطورة في تحديد الاستراتيجية، أية استراتيجية. وأي خروج عن المنهجية العلمية، والوقوع في شراك المنهجية الذاتية، أو الرؤية المستقبلية القريبة المدى إنما يوقعنا، شئنا أم أبينا، في مستنقع التجريبية المراوحة الدورانية، في